

حجاجة الاقتضاء ودوره في اتساق الخطاب لدى البشير الإبراهيمي

-مقاربة في الجزء الخامس من آثار الإبراهيمي -

د. محمد عطا الله

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

تسهم جل السمات الأسلوبية لكل كاتب في اتساق خطابه، وتلك السمات إذ تتردد وتكرر في الخطاب بما تحمله من مقتضيات معجمية وتركيبية، فإن هذا التردد والتكرار يخلق نوعا من الاتساق الذي يضمن وحدة هذا الخطاب وتماسكه. على أن " نُؤمِّن الاقتضاءات للخطاب، من خلال التغطية الاقتضائية لعناصره، انسجامه ونموه الداخليين " ¹.

وعلى هذا الأساس تعد الاقتضاءات عنصرا مهما من عناصر تشكيل البناء الداخلي للخطاب وتحقيق اتساقه، وذلك بالاعتماد على ثلاث عمليات هي:

- التأسيس: وهو يشمل جميع المقتضيات باعتبارها معلومات قديمة تضمن التماسك الداخلي للخطاب. " ويقوم على تكرار العناصر الدلالية ذاتها في الخطاب؛ إذ أن هذا التكرار يسمح بالاستمرار الغرضي للخطاب وبالتالي ارتقائه " ². ويشكل قاعدة لبناء المعلومات الجديدة.

- النمو والارتقاء: وتضم المعلومات الجديدة التي يتم تمريرها من خلال هذه المقتضيات؛ إذ يتخذ المتكلم المقتضيات باعتبارها معلومات واضحة ومتفق بشأنها بينه وبين المخاطب، مطية لتمرير أطروحاته الجديدة ودفع المخاطب إلى قبولها. حيث يتم بناء المعلومات الجديدة انطلاقا من المعلومات التي تمثل المقتضى.

- اجتناب الحشو: يساهم الاقتضاء، من خلال خاصية الإضمار التي تميزه، في تجنب الخطاب مزلق الوقوع في الحشو، فهو إذ يضم المعاني الواضحة في الكلام والمنغرس في ثنايا ألفاظه، فإنه يؤمن للكلام جانبا مهما من الاتساق والتماسك.³

إن هذا الكلام يجعلنا نستنتج أن لكل خطاب مجموعة من المقتضيات يمكن تقسيمها إلى قسمين أساسين وهما:

- مقتضى كلي: ويمثل المقتضى العام للخطاب أو للنص؛ إذ " الخطاب يُسَيَّرُه مقتضى واحد "⁴ يتم حسابه انطلاقا من مقتضيات جملة وأجزائه.

- مقتضيات جزئية: وهي تتمثل في المقتضيات المنغرس في بنيات الكلمات والتراكيب المكونة لهذا الخطاب، وجمع * هذه المقتضيات وضم بعضها إلى بعض، هو ما يكون مقتضاه العام.

وسنعمل هنا على اختيار بعض النصوص من كتابات الإبراهيمي، من النصوص المدونة في الجزء الخامس من آثاره **، والتي بوضع تلك النصوص في السياق التاريخي الذي قيلت فيه [1954 - 1965]؛ أي في فترة الثورة التحريرية *، فكان شعار كتاباته في هذه المرحلة: الجهاد بكل أنواعه، والثورة وقاتل المستعمر وأعدائه.

فالمغزى العام أو فنقل بأن المقتضى الكلي العام لهذا الجزء من كتابات الإبراهيمي قد خصص للجهاد والثورة؛ أي: ضرورة الجهاد والثورة.

ولمعرفة دور الاقتضاء في تحقيق اتساق خطابات هذه الكتابات سنستخرج المقتضيات الخاصة بكل نص، ثم تبين مدى مساهمة مقتضيات كل نص في تحقيق اتساق تلك الخطابات انطلاقا من علاقة هذه المقتضيات الجزئية بالمقتضى العام لتلك النصوص؛ أي " الجزء الخامس "، والذي يمكن صياغته - أي المقتضى العام - كما يلي: ضرورة الجهاد والثورة ***.

ونعتقد أن كل مقتضيات تلك النصوص مجتمعة سوف تصب في المقتضى العام لتلك الكتابات، والتي سنورد نماذج فقط من كل نص على سبيل التمثيل لا الحصر:

النص الأول: نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد: نعيذكم بالله أن تتراجعوا...

" إن أقل قليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي يوجب عليكم الثورة عليه، من زمان بعيد،" ⁵

" أيها الإخوة الأحرار:

هلموا إلى الكفاح المسلح...". ⁶

نلاحظ أن الكلمات الأساسية في هذا النص، هي: الجهاد، الثورة، الكفاح، والمقاومة. إضافة إلى كلمات ذات صلة بالجهاد والثورة كالأبطال، البطولة، والشهداء.

ويضاف إلى ذلك ما استحضره الإبراهيمي من سمات أسلوبية أراد من خلالها إبراز أهمية تلك الكلمات وتصويرها والترغيب فيها: (الشعب الجزائري المجاهد، قاومتها مقاومة الأبطال، يوجب عليكم الثورة، فاملؤوها بآيات البطولة، في صفحة الجهاد الطويلة العريضة، هلموا إلى الكفاح المسلح، في الجهاد لإعلاء كلمته).

أو تلك التي رهّب وحدّر من خلالها العازفين عنها، أو المترددين: (نعيذكم بالله أن تتراجعوا، فيعجب كيف لم تثوروا، فيعجب كيف تؤثرون هذا الموت البطيء على الموت العاجل المريح، يوجب عليكم الثورة عليهم، وخجلنا من الله أن يرانا ويراهم مقصرين في الجهاد لإعلاء كلمته).

وعليه يمكن القول أن تواتر كلمة الجهاد والثورة والمقاومة، أو ما سار في معناهم في هذا النص، يحمل جملة من المقتضيات الجزئية، التي تصب كلها في خانة المقتضيين الآتين:

-المقتضى (1) : التأكيد * على أهمية الثورة والجهاد.

-المقتضى (2) : التأكيد على أهمية عدم التراخي عن اختيار الجهاد.

النص الثاني: موالاة المستعمر خروج عن الإسلام

" أيها المسلمون أفرادا وهيئات وحكومات:

لا توالوا الاستعمار فإن مولاته عداوة لله وخروج عن دينه.

ولا تتوله في سلم ولا حرب فإن مصلحته في السلم قبل مصالحكم، وغنيمته في الحرب هي
أوطانكم...."⁷

لقد تواترت كلمة " موالاة " في هذا النص بشكل كبير جدا ومعها كلمة "

الاستعمار أو المستعمر "، وإن كانت الأخيرة لا تحمل دلالتها في ذاتها في هذا النص، وإنما
تأخذ معناها من خلال ربطها وعلاقتها بكلمة " الموالاة "، وقد وردت في سياق تبيين ما
معنى الموالاة وخاصة للأعداء وأنها لا تكون لهم لأن فيها غدرا بالوطن ومخالفة للإسلام بل
خروج عنه، وهذا من شأنه أن يجعل المستعمر في نظر الموالي ليس عدوا ومن ثمة يساعد هذا
على التراخي وعدم القتال والثورة والجهاد على الاستعمار، فورد كلمة الموالاة في سياق
توضيحها وتبيينها: (موالاة المستعمر خروج، إذا قلنا أن موالاة المستعمر خروج، أن الموالاة
مفاعة أصلها الولاء أو الولاية، معناها مادة التولي، تقول واليت أو عاديته، وفلان ولي أو
عدو).

ووردت كلمة " الموالاة " في سياق التحذير من موالاة المستعمر: (وأن مولاته بأي نوع ...
هي خروج، الموالاة له أن تنصره على نفسك، يعتذر بها المواليون للاستعمار كالمداواة وطلب
المصلحة، وموالاة المستعمر أقبح وأشنع).

ثم انتقل بهذه الكلمة إلى سياق أكثر تشديدا في ربطها بالمستعمر، وهو النهي عن موالاة الاستعمار: (لا توالوا الاستعمار فإن موالاته عداوة لله، ولا تتوله في سلم ولا حرب، لا تعاهدوه فإنه لا عهد له، لا تأمنوه فإنه لا أمان له، ولا تحالفوه).

فورود هذه الكلمة " الموالاة " وربطها بالاستعمار في هذا السياق حملت العديد من الاقتضات سواء في دلالتها المباشرة أو فيما تقتضيه من دلالات غير مباشرة، نجمل كل تلك الاقتضات في الاقتضات التالية:

- المقتضى (3): التأكيد على عدم موالاة الاستعمار.
- المقتضى (4): التأكيد على أن موالاة الاستعمار هي امتناع عن الجهاد وتركه.

النص الثالث: الجزائر المجاهدة

" لو قسمت حظوظ الجهاد بين الأمم لحازت الجزائر قصبات السبق، ونطلق الجهاد على معناه الواسع الذي يقتضيه اشتقاقه من الجهد، ولنبدأ بمعناه الخاص وهو جهاد العدو الأجنبي المغير على الوطن، وقد وضع الله الجزائر في موضع يدعو إلى الجهاد وعلى وضع يدعو إلى الجهاد... إلى معنى روحاني أعلى وأسمى وهو الجهاد دفاعا وهجوما لإعلاء كلمة الله،... هذا المزاج المتحدّر من الخصائص الفطرية التي زادها الإسلام تثبيتا وأولاهها عناية وغريبة، هو الذي ترك الأمة الجزائرية أمة جهاد بجميع معانيه، وعلى هذا المعنى يجب أن يبنى المؤرّخ تاريخ الجهاد النفسي في هذه الأمة " .⁸

"... ولكن الجزائريين لم يسكتوا وبدأت المقاومة لأول أمرها قريبة من نظام المرابطة، ثم نظمت على يد الأمير عبد القادر... تعاونت العوامل في آخرها على القائد عبد القادر فاستسلم مكرها وتحطمت المقاومة الجماعية المنظمة بتسليم الأمير. ولكن هل تحطمت المقاومة بتسليم الأمير؟

لم تتحطم المقاومة إلا في السهول التي مهّدت سبلها وفعل فيها الجيش الفرنسي الأفاعيل الوحشية التي يعترف بها القادة مثل القائد سانت أرنو...⁹

" أما في الجبال فبقيت المقاومة على أدها في شكل تمرد شامل وفي ثورات متتالية ...¹⁰ .

نسجل في هذا النص ورودا غير طبيعي لكلمة الجهاد والمقارنة والثورة، وتمثل هذه الكلمات في ربطها " بالجزائر " بعدا دلاليا يقضي بأن صفة الجهاد والثورة والمقاومة باتت لصيقة أو مرتبطة بالجزائر فذكرها يقتضي ذكر الجزائر حتى باتت الجزائر مقاومة، ثائرة، ومجاهدة، وقد وردت كلها في سياق توصيفي للجهاد والثورة والمقاومة وذكر ما جعل الجزائر هي " جزائر مجاهدة " في سياقات عدة: (حظوظ الجهاد، نطلق الجهاد على، اشتقاقه إلى الجهد، موضع يدعو إلى الجهاد، الأمة الجزائرية أمة جهاد، تاريخ الجهاد، وبدأت المقاومة، هل تحطمت المقاومة؟، لم تتحطم المقاومة، فبقيت المقاومة، في ثورات متتالية، ثورة المقراني، المقاومات والثورات المسلحة، من أطول المقاومات أمدًا، الجهاد المسلح، أنواع الجهاد، هذا النوع من الجهاد، المقاومة المادية، المقاومة الروحية).

اقتضت كل هذه السياقات التي وردت في كلمات الجهاد والثورة والمقاومة العديد من المقتضيات، ويمكن إجمالها في المقتضيات الآتية:

-المقتضى (5): التأكيد على أن الأمة الجزائرية أمة مجاهدة.

-المقتضى (6): التأكيد على أهمية الحفاظ على أهمية الحفاظ على موروث

الثورات الشعبية.

-المقتضى (7): التأكيد على أهمية الجهاد قتالا ودفاعا.

النص الرابع: شرعية الحرب في الإسلام

" شرعت الحرب في الإسلام أي أذن فيها بدستور كامل للحدود التي تربطها وتحدد أولها وآخرها، وتخفف من شرورها، وتكبح النفوس على الاندفاع فيها إلى الخروج عن الاعتدال وتعدي الحدود...".¹¹

أما الكلمة التي وظفت في هذا النص بكامل حملتها الدلالية، فهي كلمة " الحرب " التي كررت بشكل صريح لو بربطها بشرعيتها في الإسلام وضرورة قتال المستعمر: (شرعية الحرب في الإسلام، من لوازم الحرب سفك الدماء، فالحرب في الإسلام لا تكون إلا، يعتبر الحرب مفسدة لا ترتكب إلا، شرعت الحرب في الإسلام، حرن الإسلام التعذيب في الحرب، هذه آداب الحرب في الإسلام).

أو من خلال الكلمات الدالة على الحرب أو أحد مقتضياته كالدّم والقتال: (سفك الدماء، والدماء في الإسلام محرمة، عصمة الدماء، أن يستيخ دم أحدهم، عصمة دمه وماله، سفك دم غيره، استيخ دمه، ألا يقاتل إلا القاتل أو المحرض على القتال).
ويولد حضور هذه الكلمة في الخطاب كما سبقت الإشارة إلى ذلك، عددا من الاقتضاءات، وهي:

- ضرورة وجود سالب ويمثله الاستعمار الفرنسي.
- ضرورة وجود مسلوب يمثله الشعب الجزائري.
- ضرورة وجود ما تم سلبه، ويتمثل في نهب خيرات البلاد وما يملك الناس من أرض أو دين أو حقوق.

أما أهم اقتضاء يمكن استنباطه من كلمة " الحرب " في علاقتها بالحمولة الدلالية السلبية التي صاحبها مع كلمة : الدم : في هذا النص، فهو:

-المقتضى (8): التأكيد على ضرورة القيام بالحرب رغم اقتضائها سفك الدماء.

والمقتضى الأساس الذي ساقته إليه كلمة " الحرب " هنا، هو:

-المقتضى (9): التأكيد على مشروعية الحرب وقاتل المستعمر في الإسلام.

النص الخامس: في الذكرى الأولى للثورة الجزائرية

" هذا المولود الذي ستكون نتيجته أو ثمرته أو بلوغه الأشدّ أن تبلغ الجزائر كل استقلالها، هذا المولود الذي هو تلك الثورة العارمة التي شَنَّناها على الاستعمار الغاشم ولن تكون نتيجتها إلا التحرير إلا بلوغ الحرية التامة للوطن الجزائري بل المغربي كله... " ¹².

" نعم أيها الإخوة العرب، لِنَمَجِّدْ ثورة الجزائر المقدّسة، لنمَجِّدْ هذه الثورة التي تحمي الوطن العربي الجزائري المسلم، لنمَجِّدْها فتمجيدنا لها هو تمجيد للنبل والشهامة... " ¹³.

تواترت في هذا النص كلمة " الثورة " وحملت دلالاتها الواضحة في اتساق تام حين تم ربطها بكلمة " الجزائر " " الثورة الجزائرية "، ووردت في بعض السياقات دالة عليها كلمة " الجهاد "، من ذلك: (للثورة الجزائرية، تلك الثورة العارمة، الثائر، المهياً للثورة، لنمجد ثورة الجزائر المقدسة، لنمجد هذه الثورة، يجاهدون جهاد شخص واحد، جهادهم الموحد).

لقد حملت كلمة " الثورة " العديد من الاقتضاءات الجزئية خاصة في أثناء ربطها بالجزائر، ويمكن إجمال تلك الاقتضاءات في المقتضيين التاليين:

-المقتضى (10): التأكيد على أن الثورة الجزائرية نتيجتها التحرير والتحرر.

-المقتضى (11): التأكيد على أهمية توحيد صفوف الجهاد.

النص السادس: جهاد الجزائر وطغيان فرنسا

" أما الجزائر فقد أعربت عن نفسها بالأعمال الخالدة التي قامت بها ثورتها،

وبالبطولات الجيدة التي قام بها شبابها الثائر، وبما أحييت من شعائر الجهاد... " ¹⁴

" وأما النوع الثاني من نوعي الجهاد المادي، وهو الجهاد بالمال، وهو الدعامة المتينة التي تقوم عليها الثورات، فقد قام الجزائريون وحدهم بما تتطلبه الثورة من أموال باهضة،...¹⁵

في النص ورود لكلمة " الجهاد " و " الثورة " في دلالة صريحة لمعانيهما، وقد وردا في سياقات عدة أهمها كان في إضافتها إلى الجزائر أو إضافة الجزائر لهما: (جهاد الجزائر، الجزائر المجاهدة، ثورة الجزائر)، فلقد صارت كلمة " الجهاد " و " الثورة " شديدة الالتصاق والارتباط باسم الجزائر، وكأن ذكر أحدهما يقتضي ذكر الآخر وإن ذهنيًا، مع ورود العديد من السياقات أخرى في النص، والتي حملت معها دلالات مشابهة وفي بناءات مختلفة: (قامت بها ثورتها، شبابها الثائر). فهنا ضمير الغائب يعود على الجزائر، فحين لم تذكر الكلمة إلى جانب " الجزائر " ككلمة كان ما يعود عليها ولو ضميرا غائبا.

أضف إلى ذلك باقي السياقات التي وردت فيها كلمتا " الجهاد " و " الثورة " : (شعائر الجهاد، الجهاد بالنفس، الجهاد المادي، الجهاد بالمال، تقوم عليها الثورات، تتطلبه الثورة، والثائرون إنما يعتمدون، هذه الثورة هي الموقف الأخير، بقضه وقضيضه ثائر، مصمم على الجهاد، العنصر المعتمد في الثورة).

وقد ارتبطت هذه السياقات الأخيرة بموجبات الجهاد، ومقومات الثورات سواء على الجانب المادي أو البشري، فكان منها ما يعود على الجزائر بحضور مكون منها، وهم: الثائرون (المجاهدون من أبنائها)، والثائر (الشعب الجزائري المجاهد).

وكل تلك السياقات حملت في طياتها مقتضيات عديدة تصب كلها في خانة المقتضيين التاليين:

- المقتضى (12): التأكيد على ن الجزائر ثائرة مجاهدة.

- المقتضى (13): التأكيد على وجوب دعم الجهاد بكل الوسائل المادية.

النص السابع: الذكرى الرابعة لثورة الجزائر التحريرية

" إن المعنى الذي إذن فيكم مؤذنه بالاجتماع فاجتمعتم، وحدا بكم حاديه إلى الإسراع فأهبطعتم، هو " ثورة الجزائر " هذا المركب الإضافي غير محدود ولا مقيد، فالأعمال العظيمة كالأشجار، لها موسم واحد يحتفل به الناس وهو موسم إيتاء الثمرات، فيوم الثورة الجزائرية هو يوم النصر الأخير، يوم يفرح المؤمنون بنصر الله¹⁶

ما ميّز هذا النص هو ورود كلمة " الثورة " بشكل تكاد كون فيه لوحدها دون غيرها من الكلمات التي تسير في مجراها، ما عدا " الجهاد " مرّة: (في أعضاء المجاهدين)، والمقاومة مرّة: (المقاومة الصادقة)، والحرب مرّة: (حروب الغزو)، وفي غير ذلك ذكرت الثورة في سياقات مختلفة، منها سياقات التأكيد: (إن ثورة أربع سنوات، إن ثورة مثل هذه، أن ثورة أربع سنوات)، وسياقات أخرى مختلفة: (استمرار الثورة، غدى بها الثورة، للثورة عن طوع واختيار، لتضطر الثورة إلى الإنفاق، قوة الثورة، حسنات الثورة) وكلها مرتبطة بمعنى استمرار وإيجابيات وقوة الثورة، كما وقد وردت كلمة " الثورة " في هذا النص مضافة إلى " الجزائر " بشكل ملفت وفي سياقات متعددة ومتشابهة، وقد عبر عنه ذاته بقوله: " هو ثورة الجزائر، هذا المركب الإضافي غير محدود ولا مقيد " ¹⁷: (الذكرى الرابعة لثورة الجزائر، هو ثورة الجزائر، فيوم الثورة الجزائرية، حسنات الثورة الجزائرية).

فبورود هذه الكلمة " الثورة " بهذا الشكل الملفت للانتباه في هذا النص، ندرك أن ضمن هذا التكرار عددا من المقتضيات يمكن إجمالها فيما يلي:

- المقتضى (14): التأكيد على أن الثورة الجزائرية قوية مستمرة.
- المقتضى (15): التأكيد على ضرورة دعم الثورة لضمان استمرارها.
- المقتضى (16): التأكيد على أن ثورة الجزائر ختامها التتويج بالنصر إذا استمرت أسباب نجاحها.

النص الثامن: الجزائر الثائرة

" أيها الإخوان:

والثورة والثأر كما يلتقيان في الوصف يلتقيان في بعض الحقيقة وبعض الأسباب
وبعض النتائج وبعض الوسائل

الجزائر ثائرة بالمعنى الأول على الاستعمار الفرنسي الذي جثم عليها قرنا وربع قرن
وسامها سوء العذاب ورمها بالمخزيات الثلاث: الجهل والفقر والمرض...

والجزائر ثائرة بالمعنى الثاني، فلها عند فرنسا ثارات تمتد مع القرن سنة سنة، فكم
قتلت من أبناء الجزائر مئات وألوفاً وعشرات الألوف...¹⁸

"أيها الإخوان:

ولو أن الجزائر ثارت كلها ثورة رجل واحد غيرة على ما فعلت فرنسا بدينها وأوقافه
ومدارسه ومعابده...¹⁹

نلاحظ أن كلمة " الثورة " في هذا النص تردت بشكل لافت جدا؛ إذ كانت هي
وحدها الموظفة في التعبير نع الاقتضاء الدلالي الذي سعى الكاتب إلى إيصاله، وق تكررت
هذه الكلمة بشكل ثابت أو من خلال اشتقاقها المختلفة، مشتركة في ذلك في أصل
الاشتقاق مع " الثائر ":(من الثورة، من الثأر، هو ثائر، لطالب الثأر، وثار وثار يلتقيان في
ثائر، والثورة والثأر، ففي الثأر شيء من معنى الثورة، وفي الثورة شيء من معنى الثأر، ثارات
تمتد، أسباب الثورة، يقضي بثورة، من الثأر المنيم، والثأر المنيم، هو الثأر، طلب الثأر، كلها
ثورة).

كما وقد وردت كلمة " الثورة " مضافة إلى الجزائر أو الجزائر مضافة لها في العديد من
السياقات:(الجزائر الثائرة، وهو: الجزائر الثائرة، الجزائر ثائرة بالمعنى الأول، والجزائر الثائرة

بالمعنى الثاني). كما ارتبطت " الثورة " بالجزائر في سياقات تركيبية مختلفة، سواء بذكر الكلمتين أو من خلال ضمير أو غيره بما يدل على ارتباط ذكرها بالجزائر: (فهي نائرة بالصفة، وهي نائرة بالفهم، وثورتها حين تنثور، أهل الجزائر ثاروا، وثأروا لقتلى، أن الجزائر ثارت).

فلقد وظفت كلمة " الثورة " في هذا النص بكامل حملتها الدلالية، ويولد حضور هذه الكلمة في هذا الخطاب بالشكل الذي سبقت الإشارة إليه عددا من الاقتضاءات، وهي:

- المقتضى (17): التأكيد على أن ثورة الجزائر ثار من الاستعمار.
- المقتضى (18): التأكيد على أهمية الثورة من أجل استرداد الحقوق والممتلكات.
- المقتضى (19): التأكيد على ضرورة استمرار الثورة الجزائرية لأنها الأمل الوحيد للشعب.
- المقتضى (20): التأكيد على أهمية أن يثور الشعب الجزائري كله دون استثناء.

النص التاسع: فرنسا وثورة الجزائر

" إذا كانت النتائج تنتزع من المقدمات فإن النصر محقق للثورة الجزائرية: هذا ما تحكم به العقول الراجحة، وتقتضيه أصول الاجتماع الإنساني وتؤيده العادات الجارية... " ²⁰

" وكانت ثورة الجزائر من أول يوم تحمل فيما تحمل من معان أنها ثورة على الظلم والجور والاستعباد وتلك الشرور التي ضربنا الأمثلة على سائرها في هذه الكلمة... " ²¹

لقد تكررت كلمة " الثورة " في هذا النص ووظفت بكامل حملتها الدلالية، فقد أوردها في هذا الخطاب بشكل جمع فيه كافة التركيبات التي ذكرها سابقا متفرقة عبر نصوص عدة، من أفراد وإضافة وتوكيد وتركيبات أخرى ذات دلالات مختلفة ولكنها متقاربة، بل متطابقة المعنى والدلالة، وما يميز هذه الكلمة أيضا أنها لم توظف في غير معناها الأصلي أو بشكل معاكس أو بجمولة دلالية أقل.

من ذلك أنها مضافة إلى الجزائر وهذه أصبحت سمة أسلوبية مميزة في كتابات البشير الإبراهيمي، فذكر الثورة عند يستلزم في أكثر الحالات ذكر الجزائر، بأي شكل من الأشكال، وأبرزها الإضافة: (ثورة الجزائر، محقق للثورة الجزائرية، والثورة الجزائرية، كانت ثورة الجزائر، وكانت ثورة الجزائر، يقيض الله لثورة الجزائر، أن تؤرخ الثورة الجزائرية).

كما وقد ذكرت في سياقات أخرى عديدة مختلفة التركيب والبناء، ومطابقة في المعنى والأداء: (وما زالت نائرة، على الشعب الجزائري، ثورة متماسكة، جوانب بارزة من ثورة، أسباب هذه الثورة، ثورة على فرنسا، أن نشور ثورة مستميتة، أنها ثورة على الظلم، إن هذه الثورة أثار، امتد عمر الثورة، من قشور الثورة، هذه الثورة المتأججة، هذه الثورة، الثورة التي يؤرخ لها بدعا في الثورات).

يخدم تكرر كلمة " الثورة " بكامل حملتها في هذا النص بالأشكال التي ذكرنا مقتضى أساسيا وهو:

- المقتضى (21): التأكيد على أن النصر محقق للثورة الجزائرية.

النص العاشر: صفحات مشرقة في تاريخ الثورات

" سجلت الجزائر بثورتها التي سلخت فيها أربع سنوات وخمسة أشهر من صفحات مشرقة في تاريخ الثورات، وستكون هذه الثورة يوم تنتهي إلى غايتها وهي تحرير الجزائر من درن الاستعمار، ويوم يأذن التاريخ يتنسيق أحداثها وترتيب فصولها مرجعا للجائرين يأخذون منه الزواجر عن ظلم المستضعفين ويعلمون أن لهم ربا يبعث فيهم من القوى الروحية ما يفل الحديد ويطفض النار، ومرجعا للثائرين بالمعنيين لكلمة الثائر، يتعلم منه الثائرون والطالبون للثأر كيف يكون الثأر المنيم، ويتعلم منه الثائرون على العتو والطغيان كيف يرمونه بالمقعد المقيم، وكم للجزائر عند فرنسا الطاغية من ثارات وتارات.

كانت ثورة الجزائر بدعا من الثورات منذ كانت تقوم قبل أربع سنوات على ثلاثة
آلاف مجاهد ...

إن في الثورة الجزائرية المشتعلة نارها اليوم لمشابه من حروب الإسلام في فجر الإسلام
وإن في رجالها لخصائص من رجال تلك الحروب، فكم نصرت فيها الفئة القليلة على الفئة
الكثيرة...

والجزائريون في هذه الثورة يقاتلون الاستعمار، فيقتلون عدوين لدودين، يقتلون
المستعمر ويقتلون معه طبع الذل والخنوع والخور والفسولة التي ركبت الشرقيين عموما
والمسلمين خصوصا ...

... إنها ثورة التهمت الأخضر واليابس من جنود فرنسا وثروتها وأموالها المخزونة
وأوقفتها على حافة الإفلاس، كما التهمت ثروة الجزائريين على تفاهتها ... وإن أخوف ما
نخاف على ثورة الجزائر هو أن يجوع الشعب الجزائري فقفا عند هذه النقطة وقرأوا لها ألف
حساب، إنكم أيها العرب والمسلمون من ورائكم تنالون القسط الأوفر من غنم هذه الثورة
فمالككم لا تشاركون بكل ما تملكون في غرمها؟ ...²²

في هذا النص تكرر حضور كلمة " الثورة " بشتى الأشكال الاشتقاقية لها، وفي بنيات
تركيبية مختلفة، على النحو الذي رأينا مثله في النصوص السابقة بشكل متماثل في كل نص،
إلا أنها سجلت حضورا كليا في هذا النص، كما وردت بصيغة الجمع وهذا لأول مرة تسجل
سواء ما تعلق بكلمة " الثورة " أو " الثائر "؛ أي ما اشتق منها: (في تاريخ الثورات، الجزائر
بثورتها، هذه الثورة، ومرجعا للثائرين، وكلمة الثائر، يتعلم منه الثائرون، والطالبون للثأر، الثأر
المنيح، منه الثائرون على العتو، من ثارات وتراث، ثورة الجزائر، من الثورات، إن في الثورة
الجزائرية، في هذه الثورة، إنها ثورة، على ثورة الجزائر، هذه الثورة).

ولقد كان حضور كلمة " الثورة " هنا في هذا النص بكامل حملتها الدلالية، وقد سجلت العديد من الاقتضاءات يمكن إجمالها في المقتضيين الآتيين:

- المقتضى (22): التأكيد على أن ثورة الجزائر ثورتان: على المستعمر والنفس.

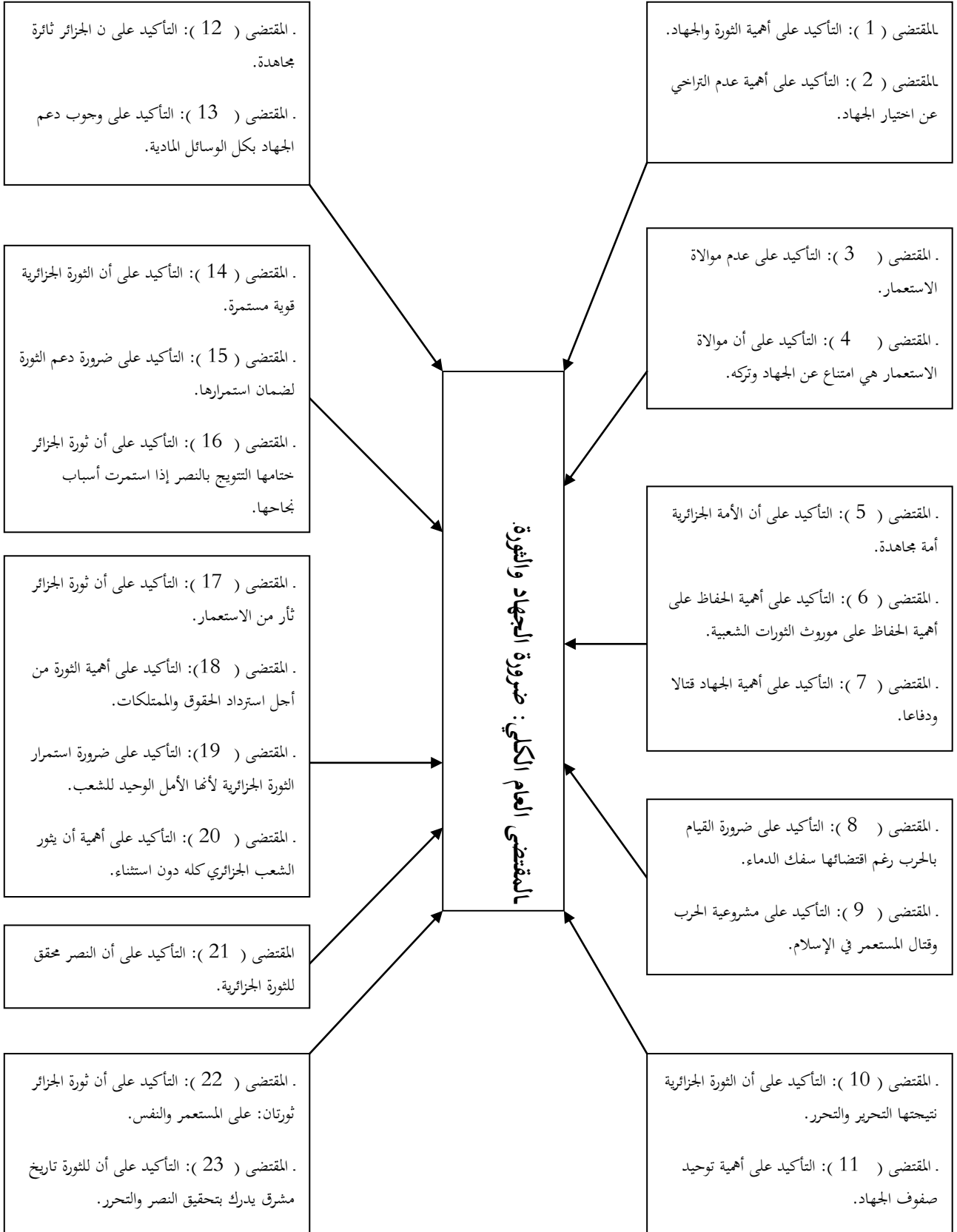
- المقتضى (23): التأكيد على أن للثورة تاريخ مشرق يدرك بتحقيق النصر والتحرر.

وفي الخير إذا تأملنا هذه المقتضيات جميعها، وحاولنا ضمّ بعضها إلى بعض فإننا

سنجد أنها تصبّ كلها في اتجاه واحد، ألا وهو دعم المقتضى الكلي الذي مفاده:

المقتضى العام الكلي: ضرورة الجهاد والثورة.

ويمكن إجمال وتوضيح كل ذلك في:



وبترتيب تلك المقتضيات في السلم الحجاجي بدءاً من الأقل حمولة دلالية إلى الأقوى
في ضوء خدمة المقتضى الكلي العام، وهو: ضرورة الجهاد والثورة. الرامي إلى مقصد واحد،
وهو: تحقيق النصر والتحرير. فإننا نحصل على:

ضرورة الجهاد والثورة [تحقيق النصر والتحرير]

- المقتضى (21): التأكيد على أن النصر محقق للثورة الجزائرية.

- المقتضى (23): التأكيد على أن للثورة تاريخ مشرق يدرك بتحقيق النصر والتحرر.
- المقتضى (10): التأكيد على ن الثورة الجزائرية نتيجتها التحرير والتحرر.
- المقتضى (16): التأكيد على أن ثورة الجزائر ختامها التتويج بالنصر إذا استمرت أسباب نجاحها.
- المقتضى (22): التأكيد على أن ثورة الجزائر ثورتان: على المستعمر والنفس.
- المقتضى (14): التأكيد على أن الثورة الجزائرية قوية مستمرة.
- المقتضى (15): التأكيد على ضرورة دعم الثورة لضمان استمرارها.
- المقتضى (19): التأكيد على ضرورة استمرار الثورة الجزائرية لأنها الأمل الوحيد للشعب.
- المقتضى (11): التأكيد على أهمية توحيد صفوف الجهاد.
- المقتضى (6): التأكيد على أهمية الحفاظ على أهمية الحفاظ على موروث الثورات الشعبية.
- المقتضى (5): التأكيد على أن الأمة الجزائرية أمة مجاهدة.
- المقتضى (12): التأكيد على ن الجزائر ثائرة مجاهدة.
- المقتضى (20): التأكيد على أهمية أن يثور الشعب الجزائري كله دون استثناء.
- المقتضى (17): التأكيد على أن ثورة الجزائر تأر من الاستعمار.
- المقتضى (18): التأكيد على أهمية الثورة من أجل استرداد الحقوق والممتلكات.
- المقتضى (13): التأكيد على وجوب دعم الجهاد بكل الوسائل المادية.
- المقتضى (2): التأكيد على أهمية عدم التراخي عن اختيار الجهاد.
- المقتضى (4): التأكيد على أن موالاة الاستعمار هي امتناع عن الجهاد وتركه.
- المقتضى (1): التأكيد على أهمية الثورة والجهاد.
- المقتضى (7): التأكيد على أهمية الجهاد قتالا ودفاعا.
- المقتضى (8): التأكيد على ضرورة القيام بالحرب رغم اقتضائها سفك الدماء.
- المقتضى (9): التأكيد على مشروعية الحرب وقاتال المستعمر في الإسلام.
- المقتضى (3): التأكيد على عدم موالاة الاستعمار.

نخلص في نهاية الكلام عن الاقتضاء إلى مجموعة من النتائج نصوغها على الشكل التالي:

- إن الاقتضاء حاصل في جميع المستويات اللغوية، فهو حاصل في بعض الكلمات في كتابات إبراهيمي، والتي تحوي سمات اقتضائية تؤثر في التركيب الذي نُظمت

فيه، وتتفاعل داخله مع باقي الوحدات اللغوية الأخرى، مختلفة بذلك مقتضيات دلالية وتداولية.

- يؤشر الحامل المعجمي لبعض الكلمات في كتابات الإبراهيمي من خلال آثاره مقتضيات معجمية توجه الملفوظ نحو وجهة حجاجية ما، ويتجلى " هذا التوجيه الحجاجي أيضا على مستوى الحركة التي يقوم بها هذا المقتضى المعجمي على المحورين التركيبي والاستبدالي، فالحركة التركيبية سواء حركة التوافق الدلالي أو حركة الانقلاب الدلالي"²³، تؤشران على توافق الوقوع للكلمة في خطابات الإبراهيمي داخل التركيب من خلال سماتها الاقتضائية والحجاجية، أما الحركة الاستبدالية فيتم بموجبها استبدال كلمة غير حاملة لهاتين السماتين بأخرى حاملة لها.

- يؤشر الحامل التركيبي لبعض التراكيب في خطابات الإبراهيمي على بروز مقتضيات ناتجة عن بنية تركيبية مخصوصة، فبنيات الشرط والاستفهام والإضافة والعطف والصلة والموصول والاستثناء... تنتج مقتضيات مختلفة، وتقوه بعض هذه المقتضيات التركيبية بوظيفة حجاجية تجعل الملفوظ ذا طاقة حجاجية مؤثرة.²⁴

¹ - Catherine Kerbrat-Orcchioni, L'implicite, Op.cit, p30. نقلا عن: الزماني كمال،

حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية، ص 332.

² - ريم الهمامي، الاقتضاء وانسجام الخطاب، ص 140.

³ - ينظر: الزماني كمال، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية، ص 332.

⁴ - ريم الهمامي، الاقتضاء وانسجام الخطاب، ص 140.

* - ظهرت مجموعة من الفرضيات التي حاولت تفسير هذا التجميع، كان - حسب أزييط - أعمقها تحليلا واستيعابا

الفرضية التجميعية المنطقية. وتقوم هذه الفرضية على ادعاءين وهما:

- ادعاء 1: إن الجمل ترث اقتضاءات كل توابعها المكونة.

ادعاء 2: إذا كانت الجملة (ج) تقتضي (ض) فإن التعابير الجزئية لـ (ج) تقتضي كذلك (ض) [راجع:

بنعيسى أزييط، الخطاب اللساني العربي، ج2، ص 83، 84.]

** - هذا الجزء الذي كتب مقدمته أبو القاسم سعد الله في 27 يناير 1997 بالأردن، مع إيراد مقدمة لأبي القاسم سعد الله نفسه في 18/08/1993 بنيسابور، وهي مقدمة الطبعة لهذا الجزء حين طبع بعنوان " في قلب المعركة " بعدد أقل من المقالات، فقد زيد في هذا الجزء حوالي 15 مقالا للشيخ. وقد صدر هذا الجزء بكلام عن السياق التاريخي الذي كتب فيه، بقلم محمد الهادي الحسني في 06 نوفمبر 1996 بالبليدة- الجزائر.

* - كتب في السياق التاريخي لهذا الجزء بقلم محمد الهادي الحسني في 06 نوفمبر 1996 بالبليدة- الجزائر، ما يأتي: " إن إيمان الإمام البشير الإبراهيمي بالجهاد وسيلة لتحرير الوطن من الاستعمار هو من إيمانه بربه...، ومن اقتناعه بأن الفرنسيين لا يخضعون إلا للقوة، حيث كتب سنة 1950 يخاطب الشعب الجزائري ويغرس في قلبه هذه الحقيقة: (إن القوم - الفرنسيين - لا يدينون إلا بالقوة، فاطلبها بأسبابها، وأنها من أبوابها، وأقوى أسبابها العلم، وأوسع أبوابها العمل، فخذها بقوة تعش حميدا وتمت شهيدا)، ويضاف لآل ما سبق معرفة الإمام بنفسية الشعب الجزائري الذي فطر على حب الجهاد، دفاعا عن دينه، وعرضه، وأرضه التي سميت في فترة من التاريخ (أرض الجهاد)، وسمي أحد أبواب عاصمته (باب الجهاد). فمسألة تحرير الجزائر عن طريق الجهاد مسألة مفروغ منها بالنسبة للإمام الإبراهيمي... " [راجع: آثار الإبراهيمي، ج5، ص 17 - 30].

** - تدل كلمة الجهاد في اللغة على القتال مع العدو، جاء في لسان العرب: وجاهد العدو مجاهدة و جهادا: قاتله. والجهاد المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء. [راجع: لسان العرب، مادة (جهد)]. و [راجع: تاج العروس، مادة (جهد)].

*** - تدل كلمة الثورة في اللغة على الكثرة والغضب والجدية. جاء في لسان العرب: ثار الشيء ثُوراً وثُوراناً وثُورٌ: هاج. وثُورٌ الغَضَبُ: جدته. والثائر: الغضبان. وفي التهذيب: ثُورَةٌ من رجال وثُورَةٌ من مال للكثير. [راجع: لسان العرب، مادة (ثور)].

⁵ - المرجع نفسه، ج5، ص 35.

⁶ - المرجع السابق، ج5، ص 36.

* - جاء هذا التأكيد اعتبارا على أن إنكار المخاطب لمضمون الكلام يقتضي تأكيد المتكلم لهذا الكلام [راجع: ريم الهمامي، الاقتضاء وانسجام الخطاب، ص 397]. وهو ما فعله الإبراهيمي في هذه النصوص.

⁷ - المرجع السابق، ج5، ص 70.

⁸ - المرجع السابق، ج5، ص 76.

⁹ - المرجع نفسه، ج5، ص 78.

¹⁰ - المرجع نفسه، ج5، ص 78.

¹¹ - المرجع نفسه، ج5، ص 93، 94.

¹² - المرجع السابق، ج5، ص 171.

¹³ - المرجع نفسه، ج5، ص 172.

¹⁴ - المرجع السابق، ج5، ص 216، 217.

-
- 15 - المرجع السابق، ج5، ص 217، 218.
- 16 - المرجع السابق، ج5، ص 230.
- 17 - المرجع السابق، ج5، ص 230.
- 18 - المرجع السابق، ج5، ص 236، 237.
- 19 - المرجع السابق، ج5، ص 238.
- 20 - المرجع السابق، ج5، ص 243.
- 21 - المرجع السابق، ج5، ص 246، 247.
- 22 - المرجع السابق، ج5، ص (252 - 255).
- 23 - محمد برهم، الاقتضاء في سورة البقرة ووظائفه الحجاجية، ضمن مصنف التحليل الحجاجي للخطاب، ص 126.
- 24 - ينظر: المرجع نفسه، ص 127.